

**الباب الثالث**  
**فضائل الحج وحكمته**  
**ومزايا مشروعيته**



## فضائل الحج وحكمته

### ومزايا مشروعيته

إن الحج هو قصد البيت الحرام لأداء النسك ، وهو ركن من أركان الإسلام ، وفريضة واجبة في العمر مرة ، على كل مسلم ، عاقل ، بالغ ، حر ، مستطيع ، واجد للزاد والراحلة<sup>(١)</sup> ، وأنه من أعظم القربات والطاعات لرب العالمين ، إذ هو شعار أنبياء الله ، وسائر عباد الصالحين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - .

عن عبد الله بن عباس قال : (( كانت الأنبياء تدخل الحرم مشاة حفاة ))<sup>(٢)</sup> . ويقضون المناسك حفاة مشاة<sup>(٣)</sup> .

وورد أن الأنبياء كلهم حجوا البيت إلا هودا وصالحا ؛ لتشاغلها بأمر قومهما حتى قبضهما .

ولا عجب فمكة خير أرض الله ، وأحبها إلى رسوله ﷺ وقد حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام إلى يوم القيامة . " ولا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها ، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا " <sup>(٤)</sup> ومن أدرك رمضان بمكة ، فصام ، وقام منه ما تيسر له ، كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواها ، وكتب الله له بكل يوم عتق رقبة ، وكل ليلة عتق رقبة ، وكل يوم حملان فرس في سبيل الله ، وفي كل يوم حسنة ، وفي كل ليلة حسنة " <sup>(٥)</sup> .

وروى : " أن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا ، وجوهم كالقمر ليلة البدر . قال أبو بكر : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : " هم الغرياء " <sup>(٦)</sup> .

ومن رأى الكعبة في المنام فهي رؤيا حق <sup>(٧)</sup> والدجال لا يدخلها <sup>(٨)</sup> ، ومن حج البيت أو اعتمر لا يزال يزداد هيبه وتعظيما وبراً <sup>(٩)</sup> .

والحكمة في الحج : هي إقبال العبد أشعث أغبر من مسافة بعيدة إلى بيت فضله الله - تعالى - وشرفه ، كإقبال العبد إلى مولاه ذليلاً <sup>(١٠)</sup> .

(١) ابن ماجه ٩٦٧/٢ تحقيق فؤاد عبد الباقي ط عيسى الحلي .

(٢) ابن ماجه ٩٨٠/٢ والفتاوى الكبرى للهيتمي ١٣٥/٢ . (٣) ابن ماجه ١٠٣٨/٢ . (٤) ابن ماجه ١٠٤١/٢ .

(٥) إعلام الساجد بأحكام الساجد للزركشي تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغي القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ص ٢٠٢ .

(٦) إعلام الساجد ٢٠٨ . (٧) المرجع السابق ٢١٥ . (٨) المرجع السابق ٢١٦ .

(٩) حاشية ابن حجر الهيتمي على مناسك النووى ص ٤١٤ .

وبالحج يكمل الدين ويتم ، فضى حجة الوداع أنزل الله تعالى :  
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>

وحينما نزلت هذه الآية قال أهل الكتاب : لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلنا يومها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه : أشهد لقد أنزلت في يوم عيدين اثنين : في يوم عرفة ، ويوم جمعة بعد العصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء وقوفه بعرفة . ثم استشعر صلى الله عليه وسلم من هذه الآية قرب أجله ، إذ الكمال علامة على الزوال ، ثم ودع أصحابه في خطبته بمنى <sup>(٢)</sup> .  
وقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج " <sup>(٣)</sup> .

ثم أكرم الله المسلمين بالحج ، فجعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنا ، والطواف حوله حجابا بينهم ، وبين العذاب ، كما جعل الله - عز وجل - الوقوف بعرفة تكفيرا للذنوب لكثرة نزول الرحمة في هذا اليوم العظيم <sup>(٤)</sup> .

أشهدكم أني قد غفرت ذنوبهم وعفوت عنهم أجمعين ؛ تكرما .  
في الحج : رياضة للوجدان على طاعة الرحمن إلى خير البلدان ، يؤديه الفقير والرفيع والأمير ، والوضيع ، بإيمان وخشوع ، وهيبة وخضوع . ومن خرج من بيته حاجا يريد بحجه وجه الله - تبارك وتعالى - غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، وشفع فيمن دعا له ، ومن قضى نسكه وسلك الناس من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه .  
"من حج هذا البيت فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" <sup>(٥)</sup> والرفث كل لغو وخنى وفجور ومجون بغير حق ، والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى .

● وإذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله ، وإن مات قبل أن يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإن إنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألفا فيما سواه ، وإن الحاج يكتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة .

● وينبغي على الحاج أن يتابع بين الحج والعمرة ؛ لأنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد ، والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة - التي لا يخالطها مأثم - ثواب إلا الجنة " <sup>(٦)</sup>

(١) المائدة ٣ . (٢) رواه البيهقي في " شعب الإيمان " عن أبي هريرة ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(٣) الفتاوى الكبرى للهيتمي ١٢٢/٢ . (٤) انظر : إعلام الساجد ١١٠ .

(٥) رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٦) رواه ابن ماجه عن عمر ٩٦٤/٢ ورواه الدار قطني في الأفراد والطبراني في الكبير عن ابن عمر والنسائي عن ابن عباس وأحمد في مسنده والترمذي والنسائي عن ابن مسعود .

وقال ﷺ ( العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة )<sup>(١)</sup>.

• إن الله - تعالى - يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة نضر الجنة :

" الميت والحاج عنه ، والمنفذ لها " <sup>(٢)</sup> وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كنا مع النبي ﷺ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن فقالوا : فداك الأمهات والآباء : أخبرنا بفضائل الحج ، قال : " بلى . أى رجل خرج من منزله حاجا أو معتمرا فكلما رفع قدما ، ووضع قدما ، تناثرت الذنوب من بدنه ، كما يتناثر الورق من الشجر ، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام ، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل ، طهره الله من الذنوب ، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له من الحسنات ، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك ، أجابه الرب - عز وجل - لبيك وسعديك ، أسمع كلامك ، وأنظر إليك ، فإذا حل مكة ، وطاف ، وسعى بين الصفا والمروة ، وصل الله له الخيرات ، فإذا وقفوا بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سماوات ، ويقول : ملائكتى ، وسكان سماواتى ، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق ، شعئا غبرا ، قد أنفقوا الأموال ، وأتعبوا الأبدان ، فوعزتى وجلالى وكرمى . لأهبن مسيئهم بمحسنهم ، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الجمار وحلقوا الرؤوس ، وزاروا البيت ، نادى مناد من بطنان العرش : ارجعوا مغفورا لكم ، واستأنفوا العمل " .

• إذن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله ، ولله در أقوام دعاهم مولاهم إلى جنبه فساروا إلى بابه شعئا غبرا ، وعرفهم بعرفات أنه قد تجاوز عن الذنوب والزلات فسجدوا لله حمدا وشكرا .

قيل للحسن ما الحج المبرور ؟ قال : " أن ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة " . وعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : ( ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة ، وأنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ )<sup>(٣)</sup>

فيقولون يا ربنا يريدون العفو والمغفرة فيقول الله - تعالى :

" يا ملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، وعفوت عنهم " .

(١) الجامع الصغير ٧٤/٢ لأحمد عن عامر بن ربيعة .

(٢) الفتح الكبير ٣٥٧/١ رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى " شعب الإيمان " عن جابر .

(٣) الفتح الكبير ١٢٤/٣ رواه مسلم والنسائى وابن ماجه .

"إن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غربا " <sup>(١)</sup> وقال : " إن الله تعالى يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غربا " .

والحج المبرور : يغفر الذنوب : صغائرها وكبائرها حتى التبعات ، وفى الحديث : وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله - تعالى - يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة فيقول : " عبادى جاءونى شعثا غربا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم " .

والحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم <sup>(٢)</sup> . وإن شفّعوا شفّعوا . عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " اللهم ارحم المحلقين " .

قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟ قال : " اللهم ارحم المحلقين قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟ قال : والمقصرين " <sup>(٣)</sup>

حدثنا عبد الله بن كنانة السلمى : أن أباه أخبره عن أبيه ، أن النبى ﷺ دعا لأمتيه عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : أنى قد غفرت لهم ، ما خلا الظالم ، فإنى آخذ للمظلوم منه ، قال : " أى رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيتيه ، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل ، قال : فضحك رسول الله ﷺ أو قال : تبسم ، فقال له أبو بكر وعمر : بأبى أنت وأمى إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك أضحك الله سيئك ؟ قال : " إن عدو الله إبليس لما علم أن الله - عز وجل - قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتى ، " أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكنى ما رأيت من جزعه " <sup>(٤)</sup> .  
إن الله - سبحانه وتعالى - يختتم على عمل الحاج بطابع من نور ، فيياك يا أخى أن تفك ذلك الختم بمعصية الله - عز وجل - .

وفى الحديث : ( إذا مات المحرم فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا ) <sup>(٥)</sup> .

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى السنن عن أبى هريرة / الفتح الكبير ١/٣٥٢ .

(٢) ابن ماجه ٢/٩٦٦ . وفتاوى الرملى على هامش الفتاوى الكبرى للهيتمى ٢/٨١ .

(٣) سنن ابن ماجه ١/٤٥٧ .

(٤) سنن ابن ماجه ٢/١٠٠٢ ، وفتاوى الرملى هامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمى ٢/٨٣ .

(٥) ابن ماجه ٢/١٠٣٠ .

- والحج هو موكب الإسلام ومظهره ، ولباب حبه وجوهره . وموسمه الحرام أشهره ، مهرجانه العظيم ، وعرسه الفخيم ، ونديه الكريم ، والنظم الذى قرن فيه الدنيا إلى دينه القويم فجعله لها صالحا وعمارة ، وملأها بيمينه نماء ويساره ، وأفاض بركاته على التجارة ، وسخرها لخدمته ، وإظهار دعوته ، وجمع كلمته ، وتوثيق عروته ، فإذا أظلت أيام الحج المباركات نظرت إلى البلاد فرأيت أسواقاً ماجت ، ومتاجر راجت ، ومطايا من مرائبها اهتاجت ، ورأيت الحجاز مهتز المناكب يموج بالمواكب ، مفتر المباسم فى جوه المواسم ، أخلفه الغيث فمطر الذهب ويبس ، فطعم الرطب أزواد تعد ، ورجال تشد ، وشروع تمد ، وحاجات تنشأ وتستجد ، وأمم أتوا من نواحي البلاد يصفون التحف الجلوبة ويأخذون الأجر والمثوبة .
- وقال حجة الإسلام الغزالي : أنعم الله - عز وجل - على هذه الأمة بالحج وشرف بيته العتيق . بالإضافة إلى نفسه تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

ونصبه مقصد العبادة ، وجعل ما حوالیه حرماً لببته ؛ تفخيماً لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده ووضعه على مثال حضرة الملوك ، ويقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كل أوب سحيق ، شعثاً غبراً ، متواضعين لرب البيت ، مستكنين له خضوعاً ؛ لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتتزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إدعانهم وانقيادهم ، ولذلك فرض عليهم فيها أعمالاً تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار ، والسعى بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية " . وقد روى الترمذى ، وصححه أبو داود واللفظ له : " إنما جعل الطواف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ورمى الجمار ؛ لإقامة ذكر الله " والبيهقى وغيره عنه : أن إبراهيم لما أتى بالمناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حتى ساخ فى الأرض . قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : " الشيطان ترجمون ، وسنة نبيكم تتبعون " . وأخرج سعيد بن منصور أنه ﷺ سئل عن رمى الجمار فقال : (الله ربكم تكبرون ، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون ، ووجه الشيطان ترمون ) ، وعلى هذا فيكون رمى الجمار

القصد منه الانقياد للأمر بإظهارها للرق والعبودية ، وانتهاضا لمجرد الامتثال .<sup>(١)</sup> وصدق رسول الله حينما قال : ( خذوا عني مناسككم ) .

وتذكر أخى الحاج فى أثناء وجودك بالمسجد : " أن الله - تعالى - ينزل على أهل هذا المسجد - مسجد مكة - فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين ، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين "<sup>(٢)</sup> ، وفى الحديث : " النظر إلى الكعبة عبادة " رواه أبو الشيخ عن عائشة .

وروى الطبرانى فى " الأوسط " عن جابر : " أن المؤذنين والمبلين يخرجون من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى "<sup>(٣)</sup> ، وروى البيهقى فى " شعب الإيمان " عن عائشة : " أن الملائكة تصافح ركاب الحجاج ، وتعتق المشاة "<sup>(٤)</sup> ، وأن الناس ليحجون ويعتمرون ، ويفرسون النخل بعد خروج يأجوج ومأجوج "<sup>(٥)</sup> .

وورد فى ماء زمزم : " إنها لمباركة هى طعام طعم وشفاء سقم " الطيالسى ، عن أبى ذر ، وروى : أنها مباركة إنها طعام طعم يعنى زمزم " رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم عن أبى ذر .

" وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات "<sup>(٦)</sup> .  
وروى : " أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ، وأهل مكة وأهل الطائف " للطبرانى عن عبد الله بن جعفر ، وفى الحديث : " وأما طوافك بالبيت فأن تطوف ، ولا ذنب عليك ، يأتى ملك فيضع يديه بين كتفك فيقول : اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك فيما مضى "<sup>(٧)</sup> .

## مزاي مشروعية الحج

للحج مزاي تفوق الوصف ، وتجل عن العد ، ومن هذه المزاي :  
**تعلم الصبر والامتثال :**

إن الإنسان الذى يصبر على متاعب السفر ، وعلى الانتقال المفاجئ من بيت الإنسان والراحة ، التى يركن إليها فيه والخيرات ، التى تحيط به إلى هذا المكان القفر الموحش المتميز بصخوره الصلدة ، وحرارته المحرقة أغلب أوقات السنة . كل هذا وغيره حينما يعترض الحاج ليس له إلا الصبر ، والصبر العميق . نعم .. الصبر على السفر ، وتزاحم الناس ، وتسابقهم إلى فعل الأحسن لهم ، والصبر على المخاوف ،

(١) حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى ٤١٤-٤١٥ .

(٢) الفتح الكبير ٣٦٢/١ - ٣٦٣/٣ رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى الكنى وابن عساكر عن ابن عباس . .

(٣) الفتح الكبير ٣٦٤/١ . (٤) الفتح الكبير ٣٦٨/١ . (٥) الفتح الكبير ٣٧٢/١ عبد الرحمن بن حمد عن أبى سعيد .

(٦) فتاوى الرمل على هامش الفتاوى الكبرى للهيتمى ٨٢/٢ . (٧) المرجع السابق .

الصبر على الإقامة فى مكة ، الصبر على تنافس الناس وآذاهم ، وتغاير معاملاتهم وتصادم رغباتهم وما على الإنسان ، وقد وجد كل هذا إلا أن يصبر ويمثل لله العلى الحكيم ويؤدى مناسكه فى إذعان تام وخضوع لله رب العالمين من فعل . هذا فإنه يدرك الحكمة ويزداد فهما للسر فى قوله تعالى :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٍ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ . ورجع طاهراً مطهراً من حجه ، كيوم ولدته أمه .

### التعارف والتعاون :

يجتمع المسلمون من كل فج عميق ، فى أيام معلومة ، وساعات محدودة على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم فيتعارفون ويتعاونون على ما يرفع شأن أمتهم ودينهم ويصلح حالهم .

### تهذيب النفوس :

أعمال الحج تشتمل على فوائد خلقية كثيرة ، مثل : الصبر على الشدائد ، والشفقة بالضعفاء والمساكين ، والتواضع ومعاونة الناس ، والإخلاص فى العمل ، وإن العبد ينال الرضا والمغفرة من الله بسبب امتثال أوامره ، وأداء العبادة له ، وهو كذلك سبيل لتكفير الذنوب ، والفوز بالجنة ، ومضاعفة أعمال البر بمكة إلى مائة ألف ضعف ، ومضاعفة الصلاة فى المسجد الحرام . قال الحسن البصرى : " صوم يوم بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم " . ويقال : إن طواف سبعة أسابيع تعدل عمرة ، وأن ثلاث عمرات تعدل حجة ، وأن العمرة هى : الحجة الصغرى . وفى الخبر : " عمرة فى رمضان تعدل حجة ، فمن وفق للعمل بما ذكرنا فهو علامة على قبول حجه ، ودليل نصر الله فى قصده .

### المساواة التامة :

إن الحاج حينما يتجرد من ملابسه العادية ، وزينته المتفاوتة ، ويلجأ إلى لباس موحد لا يظهر فيه التفاوت المعروف فى الملابس العادية ، وقد كشف رأسه وتجد الناس جميعاً سواء : الملك كالمملوك ، والأمير والفقير ، والكل يتجه إلى المولى فى ضراعة ، يسأل الله التوبة والمغفرة ، ويصبح الجميع فى سباق لبلوغ غاية واحدة هى : الرضا من الله ، والقبول ، ويستشعر الغنى بهذه المساواة فى هذه العبودية ، لا شك أن نفسه تتطامن ، وتتكسر حدتها ويحس بمعنى الأخوة الشاملة التى يحرص الإسلام على غرسها فى نفوس أتباعه ، كذلك يحس الفقير بذل الغنى أمام ربه - يتضرع إليه ويسأله قضاء حاجاته مثله بالضبط فى هذه الحالة يحس بالمساواة فترتفع معنوياته

وتعلو في نفسه منزلته ، ويسترد فيها قيمته فلا يذل ولا يخضع إلا لله ، وهكذا لا تستطيع أن تميز الشخص الذي أمامك إلا أنه مسلم ، وفقير محتاج إلى الله مثلك ، ويمكن أن نخرج من كل هذا . بأن الحج تدريب عملي شاق على التأخي في المظهر الموحد والشعور الموحد لا يتوافران بهذه القوة في أي مظهر آخر من العبادات الأخرى .

### التحام تام لأفراد الأمة :

إن الحاج حينما يقع بصره على الكعبة المشرفة يقول : " اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة وبراً ، وزد من شرفه ممن حجه ، أو اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبراً ، اللهم أنت السلام فحينا ربنا بالسلام " نرى أن هذا الدعاء فيه إلزام لكل حاج أن يدعو لزوار بيته بزيادة التعظيم والتشريف والتكريم إلى أن تقوم الساعة ، مثل المصلى ، يقول في صلاته : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ يدعو للمسلمين بالهداية ، ولذا من ترك الصلاة فإنه يغبن المصلى حقه في ترك الدعاء له . وكان السلف الصالح لشدة إيمانهم ، وكثرة شوقهم إلى زيارة بيت ربهم ، يحجون أكثر من مرة . بل وصل بالبعض أن تعود الحج كل عام ، فقد روى عن ذى النون المصري أنه قال : كانت امرأة من كبريات الصالحات العابدات تحج كل سنة على قدميها من المدينة إلى مكة ، إلى أن بلغت من العمر السبعين فكف بصرها ، فلما حضر وقت الحج دخل عليها النساء يزرنها ويواسينها في فقد بصرها ، فبكت ، ثم رفعت رأسها إلى السماء ، وقالت : إلهي وعزتك لأن فقدت نور بصرى بين يديك ، لما فقدت أنوار أشواقى إليك ، ثم أحرمت ، وقالت : " لبيك اللهم لبيك " وخرجت مع صويحاتها ، فكانت تمشي بين أيديهن فتسبقهن في السير . قال ذو النون : فتعجب من حالها فإذا بها تقول : " أعجب من ضعيفة اشتاقت إلى بيت مولاهما فحملها إليه بلطفه وقواها " .

وقال السري السقطي : رأيت في طريقى إلى مكة شابا يمشى ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد الجواب فقلت له : إلى أين ؟ قال : إلى بيت الله الحرام ، قلت له : فبماذا تحرك شفتيك ؟ قال : بالقرآن : قلت : خطواتك قصيرة ، وطريقك بعيدة ، فقال : إنما على نقل الخطي ، وعلى الله الإبلاغ ، فقلت : أين الزاد والراحلة ؟ فقال : زادى يقينى ، وراحلتى رجلاى ، فقلت : أسألك عن الخبز والماء ، فقال : يا عماه أرايت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك ؟ فقلت : لا . قال : إن سيدى دعا عباده إلى بيته ، وأذن لهم في زيارته ، فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم ، وإنى استقبح ذلك ، فحفظت الأدب معه ، أفتراه يضيعني ؟ فقلت : كلا وحاشا ، ثم غاب عن عيني ، فلم أره إلا بمكة ، فلما رآنى قال : يا شيخ أنت بعد على

ذلك الضعف فى اليقين. ثم يقول الشبلى - رحمة الله عليه - : " الحج حرفان : حاء وجيم ، فالحاء من الحلم ، والجيم من الجرم ، والإشارة فيه كأنه يقول : يا رب أتيئك بجرمى وجفائى إلى حلمك ورحمتك فإن لم تغفر جرمى فمن يغفر لى .

وإذا تأملنا ما نحن فيه سنجد أن : ما كل مسافر حاج ، ولا كل جبل عرفات ، ولا كل بيت مكة ، ولا كل زاد يوصل . فأخلصوا النية وأصدقوا العزم يا إخوة الإيمان ، يستجب دعاؤكم ، ويرعاكم الرحمن . وكل خطوة يخطوها الحاج من بيته قاصدا البيت الحرام يكتب الله له بكل خطوة حسنة ، ويحط بها عنه سيئة ، ويرفع له بها درجة ، وإن الله لا يرد للحاج دعوته ، ويباهى بطلائى بيته <sup>(١)</sup> فعن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة " <sup>(٢)</sup> ، سأل ابن هشام عطاء بن أبى رباح ، عن الركن اليمانى ، وهو يطوف بالبيت ، فقال عطاء : حدثنى أبو هريرة ، أن النبى ﷺ قال : " وكل به سبعون ملكا فمن قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار قالوا آمين " <sup>(٣)</sup>

وعن الركن الأسود قال النبى ﷺ : ( من فاضله فإنما يفاوض يد الرحمن ) <sup>(٤)</sup> وقال أيضاً ﷺ :

( من طاف بالبيت سبعا ، ولا يتكلم إلا بسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، محيت عنه عشر سيئات ، وكتبت له عشر حسنات ، ورفع له بها عشر درجات ومن طاف فتكلم وهو فى تلك الحال خاض فى الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه ) <sup>(٥)</sup> وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلى من كل فج عميق ، شعثا غبرا ، وتركوا الأهل والأولاد والأحباب ، وخرجوا شوقاً إلى زائرین مُسلمين طائعين ، حتى قضوا مناسكهم ، كما أمرتهم ، فأسألك أن تشفعنى فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر ، وتجمعهم حولى .

يا رب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار ، حتى وجبت لهم النار ، فيقول الله تعالى : قد شفعتك فيهم ، وأعطيتك سؤالك ، فينادى ملك من جو السماء : ألا من زار كعبة الله ، فليعتزل عن الناس ، فيعتزلون فيجعلهم

<sup>(١)</sup> الفتح الكبير ٣٥٢/١ رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى عن عائشة .

<sup>(٢)</sup> ابن ماجه ٩٨٥/٢ . (٣) المرجع السابق .

<sup>(٤)</sup> المرجع السابق ٩٨٦/٢ . (٥) المرجع السابق .

الله - تعالى - حول البيت الحرام ، بيض الوجوه ، آمنين من النار ، يطوفون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك ، والخير كله بيدك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك <sup>(١)</sup> وروى : أن الكعبة تحشر كالعروس المزففة ، ومن حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة <sup>(٢)</sup> .

ومن توطأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الركن اليماني ليستلمه ، خاض في الرحمة ، فإذا استلمه ، وقال : باسم الله ، والله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، غمرته الرحمة ، فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ، ومحا عنه سبعين ألف سيئة ، فاغتنموا يا وفد الرحمن هذه الفوائد والربح ، فمن اجتهد وجد ، ومن أوقد مصباح الذكر لاحت له الأعلام ، ومن تغرب في بادية الشوق ظهرت له الخيام ، ومن حج حجة ، فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد دأب ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ، فاللهم حرم شعرنا وبشرتنا وأجسامنا على النار ، يا عزيز يا غفار .

حج محمد بن المنكدر ثلاثاً وثلاثين حجة ، فلما كان في آخر حجة حجها ، قال : وهو في عرفات : اللهم إنك تعلم أنى وقفت في موقفى هذا ثلاثاً وثلاثين وقفة ، فواحدة عن فرضى ، والثانية عن أبى ، والثالثة عن أمى ، فأشهدك يا رب أنى وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفى هذا ، ولم تتقبل منه ، فلما دفع من عرفات نودى يا ابن المنكدر : أتتكرم على من خلق الكرم والجود ؟ وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام .

وينبغي للحاج أن يفتنم بعد قضاء مناسكه مدة مقامه بمكة ، ويستكثر من الاعتماد ، ومن الطواف في المسجد الحرام : لأنه أفضل مساجد الأرض والصلاة فيه أفضل منها في غيره من الأرض جميعها ، فروى : " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " .

اللهم تقبل توبتنا ، وأعنا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك ، اللهم آمين .

<sup>(١)</sup> الروض الفائق في المواعظ والرفائق . (٢) إعلام الساجد للزركشى ص ٢٠٠ .